لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٧ من السنة ٢ عن صفر سنة ١٣٣١ = كانون الثاني ١٩١٣

قبور غريبة قديمة في البحرين سابقة لعهد التاريخ

Une Nécropole préhistorique à Bahreïn.

١ ـ تمهيد

الاثر الذي اريد ان اوجه اليه انظار قراء لغة العرب هو المدافن القديمة العهد في البحرين فقد عزمت على ان ادون ماصرح ومحض من تاريخها خدمة للناطقين بالضاد لخفاء امرها على الكثيرين منهم وطموس اخبارها حتى عن اغلب الرواد والمستشرقين معتمداً في ذلك على الثقات من السياح والمؤرخين .

٢ ـ الطريق المؤدية الى المدافن القديمة

بعد ان يلقي السائح عصا ترحاله في البحرين يقصد المقابر المهجورة في وسط الجزيرة التي تبعد نحو سبعة اميال عن «منامة» اذا اراد الوقوف على سابق حضارة تلك الديار واول مايصادف في طريقه ارضاً جرداء رملية لايوجد فيها من الاثار المهمة سوى قلعة عظيمة الشان مربعة وفي خارج اسوارها مدفع لابل مدفعان قديما العهد مهملا الاستعمال قد علاها الصدأ والغبار وفي كل ركن من اركان المعقل برج هائل وهو عبارة عن صرح كان حاكم البلدة اي شيخها يصطاف فيه وداخل اسوارها الشاهقة لايوجد

الا غرفتان اوثلاث صالحة للسكنى والاقامة. اما بقية الغرف فيأوي اليها اعوان الشيخ وخدمه الذين كانوا يدافعون دفاع الابطال عن رفقائهم اذا مست الحاجة الى ذلك .

ثم لا يزال يسير وهو لا يلوي على شيء حتى يهبط موطناً ظل نخله ظليل فيه مجار واقنية للسقي والماء يتدفق فيها كانه الكوثر اوالسلسبيل يجاورها آبار رائقة حولها اشجار اوراقها غضة واطيارها شجية الغناء تنسيه الوعثاء وتفرج عن قلبه كل هم وعناء وتريحه بعض الراحة من مصاعب الطريق ووعورة مسالك «منامة» حتى انه لا يتمالك من الطرب والسرور والانشراح والحبور فينشد قائلاً :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإ زلالاً * الذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس انىّ واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

ثم ان الطريق يتعرج به ذات اليمين وذات الشمال ودليله جادة مغروسة اشجاراً تصعده تارة الى اعالي التلال والى ركام جوامع تصفر فيها الادهار وطوراً تهبط به الى الحضيض ولا يزال كذلك في صعود وهبوط حتى يفضي به المسير الى بقعة واسعة الاكناف فسيحة الارجاء يشاهد فيها ردم «البلد القديم» وهي مدينة كانت في العصور السالفة عاصمة البحرين اما الان فقد اصبحت بلقعاً ينعب فيها البوم والغربان ولا يقطن اخربتها المتبعثرة سوى بعض اجلاف السكان البائسين الذين يفترشون الغبراء

ويلتحفون الزرقاء . واما منارتا جامعها المتهدم فتحدث عنها ولا حرج فانهما لاتزالان قائمتين تناطحان عنان السماء عزاً وجبروتاً .

ان انفس مثال يدلك على فخامة هندسة البناء في الجزيرة هو معلم التحية النوتية وقد بناه العرب في الزمان الغابر قبل ان مخرت عباب الخليج اساطيل ترستان داكنها «١» Tristan D'Acunha والبوكرك Albuquerque «٢» القائدين الشهيرين والفاتحين العظيمين .

ثم بلج السائح بعد تلك المناظر غابة غيباء فيتعرقل سيره فيمشي الهوينا مضطراً وذلك نحو ميل اوميلين لكثرة ماهنالك من النخل المشتبك بعضه ببعض ثم ينتهي به الامر الى صحراء واسعة فيأخذ العجب منه كل مأخذ اذ يجد في وسط جزيرة صغيرة كالبحرين بادية كاحدى بوادي النوبة الجرداء «٣» مقفرة لايرى فيها مهما توغل في داخلها سوى رمال محرقة واراض يائرة وعلى بعد منها « جبل الدخان » وعلوه ار بعمائة قدم

« ١ » ترستان داكنها Tristan D'Acunha ربان برتوغالي ارسله الملك عمانوئيل الى الهند سنة ١٥٠٦ لمساعدة فرنسوا دليدا وزار مدغسكر واكتشف الجزر التي سميت باسمه ونقل الى الهند سنة ١٥٠٨ البوكرك نائب الملك واشتهر في تلك الديار ببسالته وعين سفيراً في رومة سنة ١٥١٤ .

« ٢ » البوكرك Alphonso Albuquerque ولد بقرب لشبونة عاصمة البرتغال عام ١٤٥٢ م وتوفي سنة ١٥١٥ وهو ربان برتوغالي مشهور برياحاته البحرية . ابحر سنة ١٥٠٣ حول راس الرجاء الصالح ومن هناك مخر عباب الاوقيانوس الهندي ثم اقلع نحو البحرين وتفقد معالمها وهو اول من اسس ملكاً لدولته في ديار المشرق .

« ٣ » النوبة بلاد واقعة في شمال شرق افريقيا الى جنوبي مصر وايضاً الى شمال وشرق بلاد الحبشة فتحها ابراهيم باشا الشهير في سنة ١٨٢٢ م وهي قسم من اثيوبية وقد قدرت مساحتها بما ينيف على ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها نحو مئة الف اغلبهم عرب وزنوج .

وهو ذو مقام رفيع ومنزلة سامية عند اهل الجزيرة حتى انهم يفضلونه على كثير من جبال سائر الاقطار. فاذا استمر المسافر سائراً نحو الغرب يلاقي غابة نخل تحجب في بداءة الامر قرية «علي» عن انظاره ولكن عندما يدنو كثيراً من تلك القرية يفتح امامه مشهد غريب لم يرَ اغرب منه قط في حياته وذلك المشهد هو :

٣ . مدينة الموتى

في البحرين مدفن مهجور واسع الاكناف واقع في وسط فلاة فيها مئات بل الوف من القبور المتلاصقة البناء تشبه تلالاً واطئة اوجبالاً منخفضة غير متقنة البناء والهندسة. وهناك لا يرى السائح انسياً ولا وحشياً حتى ولا نباتاً اواثراً من آثار الابنية المندرسة سوى تلك القبور العظيمة الشان وهي تمتد اميالاً تدل على ان المدفونين فيها كانوا من جبابرة الزمان واسرارهم غامضة عنا ولا يعرف عنهم الا النزر القليل الذي لايحفل به وبعض تلك القبور ترتفع زهاء خمسين قدماً وغيرها ثلاثين واخرى عشرين وهلم جراً وبعضها لايختلف عن البعض الآخر الا اختلافاً طفيفاً جداً في حجمها وتكاد تكون واحدة وهي اعظم مقبرة في العالم على الاطلاق ولا يبعد ان تكون اقدمها عهداً وهي مع عظمتها لم يكتب عنها الا بعض افراد قلائل يعدون على الاصابع وهؤلاء الكتاب لم يكتبوا عنها مقالات ضافية الذيل بل عبارات مسطردة لاتروي غليلاً ولا تشفي عليلاً وقد جاءت في بعض كتب وصف البلدان اوفي تقرير اوتقريرين من بعض سجلات الجمعيات العلمية التي همها الوحيد بث الرواد للوقوف على مجاهل البلاد.

ان المرحوم ثيودور بنت Theodore Bent مع سعة اطلاعه لم يكتب عنها الا فصلا واحداً في كتاب له بل اللرد كرزن نفسه Lord Curzon المشهود له بدقة البحث وبعد النظر وعلو الهمة والصبر على المتاعب والمشقات لم يدون عنها في كتابه شيئاً يستحق الذكر سوى قوله بوجد عدد وافر من القبور في البحرين. ويظهر لنا اما انه لم يُتح له الحظ زيارتها والوقوف عليها بذاته ليميط الحجاب عن بعض غوامض اسرارها او انه لم يعرف حقيقة امرها ورفعة شأنها في عالم الآثار النفيسة .

ان السائح الباحث اذا وطأت اقدامه تلك الربوع يقف حائراً مبهوتاً سائلاً ذاته : من هم تُرى اصحاب هذه المدافن ؟ومن اي شعب اوقبيلة اولسان كانوا؟وما هي درجتهم في عالم المدنية والعمران؟وباي دين كانوا يدينون ؟وما هي جل معتقداتهم؟وما هي شعائر ورسوم معبوداتهم؟وما هي صفة حكومتهم اجمهورية كانت ام ملكية ام استبدادية؟وما القصد من تشييدهم قبوراً هذا عددها في برية لاانيس فيها ولا جليس؟ الى غير ذلك من المسائل العديدة التي يطول الشرح في سردها وتعدادها. وليس في وسع احد الاجابة عنها جواباً مقنعاً يشفي الاوام لانه قد سدل على زمن تاريخها وتأسيسها حجاب الغموض والابهام لبعد عهدها وتوغلها في القدم.

وقد ارتأى بعضهم منذ اعوام ان الخليج الفارسي هو مهد حضارة الجنس البشري واصحابه هم اول من تغلغل في المدنية وسكانه هم اول من قطع الفيافي ومخر البحار واقتحم الاخطار واختبر فن الملاحة واهوالها . فقد انبأتنا سجلات ورقم المصريين القدماء عن ارض تسمى

البنط Pount «٤» وبعض النصوص تصرح بان البنط هي نفس الاراضي المجاورة للاحساء والبحرين ولكن تحتاج هذه المسئلة الى بحث دقيق ونظر عميق لان الكتابات المصرية القديمة لم تعين تماماً موقع البنط ولا حددت تخومها بل اشارت اليها بعض اشارات طفيفة لم تزل في موضع الشك والارتياب .

ومهما يكن من حقيقة موقع البنط فان ديار البحرين اوما جاورها تعدُّ مهد الجنس البشري وربوع خليج العجم هي اقدم محل في المعمور سطعت منه انوار المدنية والحضارة وقد جاء في بعض اساطير الاولين ان الشعوب القديمة التي سكنت في اقصى اطراف المسكونة هم حديثو العهد بالنسبة الى سكان الجزيرة . وقد ذكرتهم اقدم التواريخ وعدّتهم بين اقدم امم الارض قاطبةً فابناؤهم هم الذين مصروا ارض الكلدانيين وشقوا اسس بابل وحفروا خنادقها وبنوا اسوارها وابراجها وقد اشتهروا بموا هبهم العقلية السامية وبفطرتهم المتوقدة وقد اثبت رولنسن الشهير Rawlinson بالادلة القاطعة والحجج الدامغة ان الكلدانيين القدماء اخذوا جميع معارفهم عن اهل تلك الجزيرة واقتبسوا منهم جلّ علومهم ومعلوماتهم كعلم التنجيم والسحر والعرافة والكهانة ونحوها وشهد ايضاً ان عهد ذريتهم يرتقي الى نسل آدم المذكور في سفر التكوين من التوراة اي منذ بدء العالم وقال غيره ان من هذه البقعة انتشرت عبادة الالهة الكاذبة والمعبودات الباطلة كاله

« ٤ » البنط Pount اسم الفينيقيين قبل ان يحتلوا ديار الشام والظاهر انهم من اصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة انهم ظعنوا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط حيث اقاموا فيها .

البحر العظيم المرسوم على بعض اطلال الكلدانيين المندرسة المسمى هيا Hea او اواني Oannès وكانوا يعتقدون انه رب المياه وسيد البحار وقد دعوا خليج فارس باسمه تيمناً وزعموا انه مطلق القدرة وفي استطاعته ان يأخذ يد من يستغيث ويستجير به في ضيقته وبليته وهو الذي علم سكان دجلة والفرات القدماء العلوم والفنون والصنائع والمعارف ولقنهم الآداب ورسم لهم الشرائع والاحكام لكي يعملوا بموجبها الى غير ذلك . وقد قيل ان الشعب اليهودي اقتبس جلّ تقاليده من البابليين الذين اخذوها قبلاً من الامم الساكنة على ضفاف الخليج الفارسي .

يعتقد اليوم جمهور من المؤرخين ان السلالة الصينية لم تنشأ قط من المملكة الصينية المتوسطة بل نزلت من الشعوب والقبائل التي رحلت من ديار البحرين الى مابين النهرين ومنها الى آسيا الوسطى ومن هناك سارت الى ضفاف النهر الاصفر وذلك قبل اربعة آلاف سنة اوعشرين قرناً قبل المسيح عندما اخذ مؤرخوهم يدونون الحقائق التاريخية المتينة المكينة بدلاً من الخرافات الواهية الواهنة كما شهد بذلك كونفشيوس ذاته .

من يطالع تواريخهم الخرافية ووقائعهم الخيالية المدونة عن العشرة القرون السابقة لزمان مهاجرتهم يرى ان الصينيين الحاليين وجدوا بلادهم مأهولة بالسكان الاصليين وقد قيل ان بعضاً من ذريتهم لم يزل موجوداً حتى يومنا هذا في اقطار الصين البعيدة وبعد سفرهم الشاسع القوا عصا ترحالهم في مشرق البلاد ولا يبعد انهم شنوا الغارة على سكان تلك الديار وقتلوهم عن بكرة ابيهم واستباحوا اموالهم او انهم دحروهم الى ماوراء الجبال

تخلصاً من غدرهم وفتكهم الذريع .

فالرأي القائل ان الصينيين اتوا من بين النهرين رأي لايقبل النزاع اوالجدال لثبوت صحته ووفرة الشواهد عليه وهاك بعضها: قال احد كتبة الانكليز الكبار « امس كنت في دار التحف الابريطانية ورأيت هناك بعض رسوم رؤوس شياطين البابليين وحتى يومنا هذا يمكننا ان نرى في اغلب بلاد الصين صوراً طبق الاصل وتشابهها كل المشابهة » ومن يتدبر التواريخ الصينية يرَ لاول وهلة كيف ان الصينيين الحاليين عندما توغلوا في البلاد كان السكان الاصليون الذين حاربوهم يدعونهم « نسل الشعر الاسود » وسكان بابل كانوا يلقبون اصحاب المعارف والعقول الرفيعة من اهل الخليج الفارسي الذين وطئوا ديارهم وحلوا ربوعهم « الجزائريين ذوي الرؤوس السوداء »

لقد صرح العالم الفرنساوي تريان دلاكودري Terrien De Lacouderie ان الكتابات المصورة الصينية القديمة تشابه تماماً خطوط ورسوم سكان بين النهرين القديمة وان آلهتهم وشعائرهم الدينية تماثل الهة الشوشنيين «٥» ورسوم تقاليدهم ومعارفهم وفنونهم الطبيعية القديمة كعلم الهيئة وعلم الفلك والطب وحفر الترع ومجاري المياه الصناعية الخ لاتفرق البتة عن معارف وفنون البابليين وان شئت فقل هي بعينها .

اذا استقرينا التواريخ وتصفحنا الكتب القديمة العهد النادرة الوجود

« ٥ » الشوشانيون هم سكان السوس المدينة القديمة في ديار العجم وهي مقر الملوك وعاصمة المملكة ويقال لها ايضاً الشوش اوشوشن وفيها اخربة كثيرة لاتقل محيط مسافتها عن ثلاثة اميال .

نرى جلياً ان اهل بابل قد استمدوا جل معارفهم ان لم نقل كلها من سكان الخليج العجمي المندرس الربوع المهجور الشواطئ التي نطأها الان غير مكترثين بها وقد كانت في عصر من العصور الخوالي مصدر حضارة البشر ومنشأ مدنيتهم فلما اخذ الانسان يتدرج في معارج العمران هجرها وشرع يطوف في طول البلاد وعرضها ومنذ ذلك الحين اخذ ظل عزها يتقلص رويداً رويداً حتى اصبحت ديارها كما نعاينها الان بلاقع خالية من آثار التمدن. اما سبب تقدم اهلها وسموهم على غيرهم في ذلك الزمان فهو على ما اظن موقعهم الطبيعي التجاري الذي دفعهم الى ان يخوضوا غمار المخاطر ويحلقوا في سماء المجد والعرفان والسؤدد ومن هذا القطر نزح ايضاً شعوب وقبائل عديدة راقية جداً منها الطورانيون المذكورون في كتاب العهد القديم باسم الكنعانيين فانهم اجتازوا بلاد العرب ودخلوا سوريا واسسوا فيها مدينتي صور «٦» وصيداء «٧» .

وقد اخبرنا هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير انه زار صوراً وتفقد معالمها وجالس شيوخها وخاطب كهنتها في امر بنائها فأجابوه ان هيكلهم قد بني قبل زيارته اياها بألفي وثلثمائة سنة وبعد ان برح الطورانيون

« ٦ » صور معناها الصخر وهي مدينة فنيقية على بعد سبع ساعات من جنوبي صيدا وهي مبنية على جزيرة او جزيرتين وقد اسست سنة ٢٧٥٠ ق م قال بلينيوس «كان محيط جزيرة صور ميلين ونصفاً».

« ٧ » صيداء واسمها القديم صيدون ومعناه الصيد هي مدينة فنيقية وقد عدها بعضهم من اقدم مدن العالم مبنية على طرف لسان ممتد في البحر واقع في شمالي صور عرضه نحو ميلين وهو بين جبل لبنان والبحر المتوسط على بعد ٢٥ ميلاً من جنوبي بيروت وعشرين ميلاً من شمالي صور.

اوطانهم اجتازوا بلاد العرب شيئاً فشيئاً كما فعل قبلهم اسلافهم الصينيون عندما رحلوا نحو مشرق الشمس ويظن رولنسن ان ذلك حدث منذ نحو خمسة آلاف سنة. فلنترك هذه المسائل لمن يريد استقصاءها بذاته ثم نعود فنقول: متى بنيت القبور في البحرين؟ وما هو زمن تأسيسها على التحقيق؟ ومن الراقدون فيها؟ ان هذه الاسئلة تظهر لنا كأعجبية اما ثيودور بنت Theodore Bent فقد اخبرنا ان المدفونين فيها هم من اصل فنيقي هجروا اوطانهم وقطعوا فيافي بلاد العرب وحلوا بهذه الربوع وبنوا على البربلدة على خط البحرين في موضع بقرب مدينة القطيف الحديثة ربما كان عند رأس الخليج حيث ترى اليوم جزيرة البحرين وكانت مدينة عظيمة فيها سوق تجارية واسعة اسمها «الجرعاء» التي يظنها البعض نفس مدينة اوفير (٨) الشهيرة بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها وقد جاء ذكرها في العهد القديم من الكتاب الكريم. فهل ياترى اعتقد سكان الجرعاء ان البحرين بقعة مقدسة التربة حتى ينقلوا اليها جنائز موتاهم ويدفنوهم فيها كما يفعل اليوم الامامية في نقل جنائزهم الى كربلاء والمشهد (اي النجف) اولانها قريبة من البحر وهي مركز التجارة وتلك المدافن هي قبور اولئك السكان اواقيمت تلك المقبرة الغريبة قبل ان يبرحوا الوطن ويتوغلوا في قلب بلاد العرب اوقبل ان يمصر اهل الجزيرة ارض الكلدانيين وينشئوا فيها مهجراً

(٨) وفير او اوفير بلاد في الشرق اشتهرت قديماً بكثرة ثمارها وقد ذهب قوم الى انها واقعة على شاطئ البحر الهندي في جنوبي بلاد العرب وذهب غيرهم الى ان اوفير هي في افريقية الشرقية على شاطئ موزمبيق ولكل من الرأيين ادلة وحجج لامعة والله اعلم بالحقيقة.

وبقيموا مستعمرة فهذه المسائل لايستطيع الانسان ان يبتّ فيها رأيه لقدم عهدها وغموض اسرارها .

ان المستر بنت فتح بعض القبور وعثر على بضعة آثار فانتقى منها شيئاً وبعث به الى المتحفة الابريطانية وبعد ان امعنت لجنة المعهد نظرها فيها ودققت فحصها قرّ رأيها على انها من اصل فنيقي وعليه تدل هذه الاثار على ان القبور قديمة جداً . فاذا سلمنا بتلك الدلائل واعتبرناها صحيحة تكون القبور قدبنيت على الاقل منذ نحو خمسة آلاف سنة هذا اذا كان رولنسن قد ضبط حسابه في تاريخ الهجرة الى بحر المتوسط .

ان الخط المسماري قديم جداً عند سكان بابل وكان للفنيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف ولما اكتشفت صناعة الكتابة واخذ الناس يستعملونها في التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية على ان الباحث مهما نقب في تلك المدافن لايعثر على شيء من قبيل الحفر اوالنقش على صخورها واحجارها مع ان الفنيقيين عندما القوا عصا ترحالهم في البحر المتوسط اخذوا يقلدون المصريين في وضع موتاهم في نواويس ولسوء الحظ لم يوجدناووس واحد في تلك المدافن ليتخذ منه دليل على تاريخ سالف لزمان الجلاء وهناك امر آخر يستحق التدبر والتروّي وهو ان احد الباحثين قال حين اكتشف البقعة وتدبر ماقيها ان جميع القبور التي فتحت بجنب (قرية علي) وهي قبور اعلى من سائر القبور التي وراءها بنحو عشرين قدماً هي على رأيه احدث من غيرها ومما يؤيد ذلك ان هذه القبور قائمة على طرف المقبرة القسيمة الارجاء القديمة العهد ويظهر انها آخر ماشيد واقيم هناك .

كتب القائد دوراند Cap. Durand ما نصه « ان الآكام العالية هي قريبة من قرية علي وهي اكبر من غيرها » ان ما افاه به هذا الكاتب واضح وضوح الشمس في رابعة النهار فنيرخوس Nearchus الذي تولى قيادة اسطول اسكندر الكبير في سفرته الشهيرة الى خليج العجم يصف كيف انه زار مدينة فنيقية في البر وجزيرة تدعى تيرين Tyrine ويظهر انها هي التي تسمى اليوم دارين عند العرب وديرين عند الارمية وهي فرضة بالبحرين وقد رأى هناك قبر ارثرا Erythras الذي كان سلطان الخليج ولا يبعد ان يكون اسم الخليج في السابق اي البحر الارثري ErythrenSea مشتقاً منه ونيرخوس يصف المدافن بقوله « رابية مرتفعة كثيرة النخل » فهذا الوصف ينطبق اتم الانطباق على احدى تلك الروابي العالية بقرب (قرية علي) بخلاف سائر الروابي فانها لا تنطبق عليها وهي بعيدة عنها اميالاً عديدة بيد انه لا يوجد الان نخلٌ وهو ولا شك مات لتقادم عهده .

وهذه الرواية تؤيد ان الآكام الكبيرة بنيت في العهد الاخير والدليل على ذلك ان اسم الشخص المدفون في احداها ذكر في زمن نيرخوس رفيق اسكندر المكدوني عندما شاهدها . ويظهر انه لم يبحث احد في هذا الاثر منذ ذلك الحين حتى قام الضابط دورند الذي رفع بعد ذلك الى درجة امير « دوق » وذلك انه بينما كان يجول في اراضي تلك الجزيرة الموحشة خطر له فجأة ان يفتح احد تلك المدافن وينقب فيه علّه يعثر على شيء يستحق الذكر والعناء ومن الغريب انه مضى عدة قرون من نيرخوس إلى

زيارة ذلك الضابط الانكليزي ولم يبحث احد بحثاً وافياً عن تلك الاثار الغريبة القديمة العهد .

لقد اطلقت العنان لقلمي في موضوع انا فيه قصير الباع مع ان موضوعاً كهذا زاخر العباب يحتاج الى ان يلم به خبير بارع . هذا ورولنسن لم يكتب شيئاً مذكوراً عن تلك المدافن ومنزلتها في عالم الاثار القديمة . وكل مايقوله الاديب عنها هو من باب الرجم وليس عليها كلها شيء من العظمة والابهة التي ترى في خرائب مصر الهائلة المنقورة في الصخور واطلال صور وصيداء الخ الا ان في آثار البحرين مزية لا توجد في غيرها وهي بها تفوقها من عدة وجوه منها انها تبني في ذهن من يراها ذكراً لا يمحى وصوراً تنطبع في مخيلته حتى انه تنقله الى الاعصر الخوالي وتضع نصب عينيه حوادث الايام القديمة جداً ولا اراني ابالغ اذا قلت انها تذكره بالوقائع التي جرت منذ تأسيس العالم . وعلى كل حال فصحراء البحرين الموحشة الفسيحة الاطراف المملوءة من القبور تؤثر في النفس اكثر مما تؤثره خرائب كرنك «٩» وثيبة «١٠» فهل الاكام التي نحن بصددها هي اقدم من جميع اطلال مصر وبابل ونينوى وفنيقية المندرسة؟ ذلك مما لا استطيع ان ابت فيه رأياً

«٩» كرنك قرية من بلاد الصعيد على بعد ٤٩ كيلو متراً من شمال شرقي اسنا قريبة من الضفة اليمنى من النيل وقد بنيت على انقاض طيبة .

«١٠» طيبة او طيوة او ثيبة مدينة مصرية قديمة راكبة على النيل مساحة دائرتها ١٤ ميلاً كانت قبل المسيح بالف وستمئة سنة في ابان عزها واوج مجدها وقد وصفها هوميروس الشاعر اليوناني بقوله « مدينة لهامئة ذات يرسل من كل واحد منها الى ساحة الوغى مئتي عجلة حربية » وقد هدمها قمبيسوس عام ٥٢٥ وبقايا اخربها هائلة جداً تمتد الى نحو ستة اميال على جانبي النيل وبعدها بعض من شاهدها من اسمى وانفس اثار العالم .

لما يحتاج اليه من اعمال الروية ودقة النظر والوقوف التام على كنه الحقيقة ولا اظن ان اديباً من الادباء يستطيع الاجابة الصادقة عن ذلك بالنظر الى مالدينا الآن من قلة الوسائل التي تهدينا الى الجواب. بيد ان الظواهر تحمل السائح على ان يعتقد ان سذاجة المدافن وخشونتها وعدم اتقان بنائها هي البقعة التي سكنتها القبائل والامم ذوات الرؤوس السوداء التي وافت بابل من عبر البحر وشيدت معالمها وهذا مايستدل عليه من آثارهم التي تركوها للاجيال المقبلة اذ هي اقدم ماصنعته يد بشر على وجه البسيطة باسرها.

اني لا اتعب القارئ الكريم بشرح دقيق اووصف مسهب عن قياس المدافن ومساحتها اوعن ماهية ونظام باطنها اوعن الذخائر والاثار الموجودة فيها. فهذه الامور وغيرها يوفيها حقها من البحث اربابها واريد بهم الرواد الذين يطوفون البر والبحر للوقوف على مجاهل البلاد وسيفي يقيني انهم يتفرغون للفحص والتنقيب عن تلك المقابر العظيمة ولو بعد حين وينشرون عنها ابحاثاً علمية تاريخية وافية بالمراد. وقد عزمت بعد الاتكال على الله ان اصف المدافن ولو على سبيل الاختصار لكي يلم بها المطالع الاديب في الوقت الحاضر فاقول: «لما تلو» رزوق عيسى

---

٢ : ﴿ الشيخ عبد الرحمن السويدي ﴾

Le Cheïkh Abd er-Rahmân es-Soueidy.

هو ابو الخير الشيخ عبد الرحمن زين الدين ابن الشيخ عبد الله السويدي كان امام عصره في مصره وقطره ولد في بغداد سنة ١١٣٤هـ = ١٧٢١—١٧٢٢م واخذ العلم عن والده وعن فصيح الهندي وعن ياسين